الاشتراكية في بلجيكا من (١٨٣٠ – ١٨٦٥)

Socialism in Belgium (1830 – 1865)

م.د. اسماء حافظ أحمد الأحبابي

Dr. Asmaa Hafez Ahmed Al-Ahbabi

E-mail: asmaa.h.ahmad@tu.edu.iq

أ.د. ليث محمد إبراهيم الجنابي

Prof. Dr. Laith Mohammed Ibrahim Al-Janabi

E-mail: laith76@tu.edu.iq

جامعة تكريت/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

Tikrit University, College of Education for Humanities

الكلمات المفتاحية: الاشتراكية، بلجيكا، جاكوب كاتس، الحركة العمالية.

Keywords: socialism, Belgium, Jacob Katz, labor movement.

الملخص:

تشكلت الحركة الاشتراكية الأولى في بلجيكا من مجموعات من الأشخاص المثقفين القادمين من الطبقة الوسطى في المجتمع البلجيكي والحرفيين الذين كانوا يطمحوا للتحرر من قبضة النظام البلجيكي، وقد شكلت هاتان المجموعتان صلب ما يمكن أن نطلق عليه بالحركة الاشتراكية الاولى، وإنَّ أعضاء هذه المجموعة كانوا معروفين لدى اكثرية الشعب البلجيكي، وكان بعضهم ناشطاً ضمن الجماعات اليسارية المنضوية إلى الحزب البرجوازي المناهض لرجال الدين، وعلى هذا كان معظمهم مشاركاً في الثورة والمعارضة، لذلك لم تظهر في بلجيكا الحركة الاشتراكية بصورة منظمة خلال السنوات الأولى من بروز بلجيكا (١٨٣٠ – ١٨٤٧)، ولاسيما حينما تولت الحكم القوى المناهضة للديمقراطية والقوى المحافظة.

Abstract:

The first socialist movement in Belgium was formed by groups of educated individuals from the middle class of Belgian society and craftsmen who aspired to break free from the grip of the Belgian regime. These two groups formed the core of what can be called the first socialist movement. The members of this group were well-known to the majority of the Belgian people, and some were active in left-wing groups affiliated with the bourgeois anti-clerical party. As such, most of them participated in the revolution and opposition. Therefore, the socialist movement did not emerge in an organized manner in Belgium during the early years of its emergence (1830-1847), especially when anti-democratic and conservative forces assumed power.

الاشتراكية في بلجيكا (١٨٣٠ – ١٨٤٧):-

لم تظهر في بلجيكا مجموعة منظمة للطبقة الكادحة خلال السنوات الأولى من بروز بلجيكا (١٨٣٠ – ١٨٤٧)، ولاسيما حينما تولت الحكم القوى المناهضة للديمقراطية والقوى المحافظة، وقد تشكلت الحركة الاشتراكية الأولى من مجموعات من المثقفين القادمين من الطبقة الوسطى والحرفيين الذين طمحوا للتحرر من قبضة النظام، وقد شكلت هاتان المجموعتان صلب ما يمكن أن نطلق عليه بالحركة الاشتراكية الاولى، وإنَّ أعضاء هذه المجموعة كانوا معروفين، وكان بعضهم ناشطاً ضمن الجماعات اليسارية المنضوية إلى الحزب البرجوازي المناهض لرجال الدين، وعلى هذا كان معظمهم مشاركاً في الثورة والمعارضة (Witte & Craeybeckx & Meynen, 1997, P.50).

أفرزت نتائج الثورة معنويات الكثير من الناشطين ولكن خلال ثلاثينيات القرن التاسع عشر حل محلهم الديمقراطيون الشباب المثاليين وهم حصيلة جديدة جاءت من أوساط جامعة بروكسل ومن الطبقة المتوسطة الإصلاحية العاملة في المدن الصناعية مثل غنت وليبج وفيرفيرز، وقد أسسوا رابطات ديمقراطية وصحافة خاصة تنطق بلسانهم، إذ تنفسوا حياة جديدة في الحركة الراديكالية القائمة، وبدأوا بمهاجمة الحكومات المحافظة بحماس، ولتوسيع قاعدتهم الجماهيرية والسياسية ارتبطوا بالطبقة الوسطى المتدنية والتي كانت منطلقاً مناسباً لاستقطاب الليبراليين والتعاون مع الطبقة العاملة في معارضتهم للحكم القائم وقدموا الدعم المالي وساهموا في تنظيم المعارضة وكتبوا مقالات دعائية في صحفهم وشاركوا في القاء الخطب التوجيهية في التجمعات الحاشدة (Descamps, 1902, P.202).

وعلى هذا المنوال رَفَدَ الديمقراطيون الشبان الحركة بأفكار مميزة خاصة بالاشتراكية الأولى وفلسفتها، وكانت ايديولوجيتهم مركباً معقداً جاء مزيجاً من العدالة من التأثيرات سواء الخاصة أو الأجنبية، ولم يكونوا فقط تحت تأثير المؤسس الأول للاشتراكية الفرنسية سانت سيمون " Saint Simon"(ولد في باريس عام ١٧٦٠، كان فيلسوفا فرنسياً يميل إلى مبدأ تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية، وكانت دعوته موجهة إلى الاهتمام بالصناعة، ونوه إلى أهمية الحياة البرلمانية في الاقتصاد، ودعا إلى أن يكون البرلمان مكونا من ثلاثة مجالس هي مجلس الاختراع، مجلس الفحص ومجلس التنفيذ، توفي في باريس عام ١٨٢٥. Père, 1967, PP. 389 – 391)، الذين هاجموا مفهوم الملكية الخاصة والاستغلال الاجتماعي، بل تبنوا مبادئ المساواة للفرنسي الثوري ج. بابوف "G. Babeuf" (ولد في ٢٣ تشرين الثاني ١٧٦٠ في بلدة سان كانتان، تنتمي أصوله

إلى الطبقة العاملة من العامة، عرف بابوف البؤس والعمل منذ صغره، ففي سن الثانية عشر عمل مع والده في جباية ضريبة الملح، وفي سن الخامسة عشر عمل موثق عقود في خدمة أحد النبلاء في مدينة "روا"، وعندما توفي والده في عام ١٧٨١ أصبح المعيل الوحيد لوالدته وأخوتهِ الثلاثة، ومع انه لم يكن متعلماً بشكل أصولي لكنه وقبل بلوغه العشرين عاماً كان قد بدأ بالبحث عن الحجج الإقطاعية الرسمية، التي تمكن الإقطاعيين وتعطيهم الحق في نهب حقوق وجهد وأراضي الفلاحين، اكتسب خبرة كبيرة جراء أزماته اليومية مع الجوع ومعايشته لأحوال الطبقة العامة ومشاكلها، مما دفعه قبل الثورة الفرنسية إلى البحث عن الوسائل العلمية والعملية لإيصال المجتمع الإنساني إلى سعادة عامة، عرف في تلك المرحلة ومن خلال أفكاره انه كان عدواً عنيداً للملكيات الزراعية الكبرى المتمثلة بالنبلاء والبرجوازيين الكبار والتي عمقت من اللامساواة الاجتماعية والاقتصادية، لهذا أبدى رفضه التام لظاهرة تزايد عدد الملكيات الزراعية الكبيرة، توفي في عام ١٧٩٧. (Buonarroti, 1869, P.31; Meric, 1907, P.172 ; Bax, 1901, PP.48–49)

وتلميذه الايطالي ف. بواناروني"Ph. Buonarroti" (اشتراكي وكاتب ايطالي، ولد في ١١ تشرين الثاني ١٧٦١ في دوقية توسكانا الكُبرى، كان له دور فعال ونشط في كورسيكا وفرنسا وجنيف، أصبح كتابه "تاريخ مؤامرة بابوف للمساواة" في عام ١٨٢٨، نصاً جوهرياً للثوار الاشتراكيين، فقد الهم اليساريين مثل بلانكي وماركس، اقترح استراتيجية متبادلة من شأنها أن تحدث ثورة في المجتمع على مراحل، بدءاً من الملكية إلى الليبرالية، ثم إلى الراديكالية، وأخيراً إلى الشيوعية، توفي في ١٦ أيلول ١٨٣٧. (Elizabeth, 1959, P.674 ; Federici, 2007, P.193)، ثم أضافوا المبادئ الخاصة بالاشتراكية الطوبائية التي اخذوها من شارل فوريه "Ch. Fourier" (رجل اقتصاد وفيلسوف فرنسي، ولد في ٧ نيسان ١٧٧٢ في فرنسا، صاحب نظرية اجتماعية واقتصادية عُرِفت باسمه، تأثر في حياته بالأفكار الاشتراكية التي سبقت أفكار وأدبيات كارل ماركس، كان له أثر بارز في حياة الاشتراكيين الذين تأثروا بأفكاره الاشتراكية، توفي في ١٠ تشرين الأول ١٨٣٧ بمدينة باريس في فرنسا. Suratteau, 1989, PP.897 – 898 ; Johnathan, 1986, PP.195 – 196)، إذ إن هذا الايديولوجي الفرنسي أراد تقسيم البشرية إلى فيالق تنضْم إليها الأفراد ويجري العمل فيها على أساس طوعي من أجل المصلحة العامة، وكان القليلون مطلعين على الماركسية وعلى وجه العموم ينبغي أن يصنفوا على أنهم إصلاحيون تقدميون راديكاليون بدلاً من كونهم ثوريين منظمين أرادوا أن يغيروا وجه العالم (Witte & Others, 2009, P.51).

وقد سعى معظمهم إلى الالتزام بالمبدأ الاساس لليبرالية – الملكية، على الرغم من إدانة مسألة تمركز الثورة في أيدي الطبقة العليا في هذا المجتمع، وكان مبدأ المساواة في عهدهم التنويري هو الموضوع الرئيس، وكان من المفروض أن تؤدي رؤيتهم لدولة الرفاهية والاعتراف بالحق في العمل إلى إزالة المظالم الاجتماعية، وعلى هذا كان لابد للمواطنين أن ينجذبوا الى قضية الاشتراكيين الاوائل من خلال الفكر والخطاب وليس العنف (Witte, 2016, P.202).

وبما أنَّ هذه الطبقة كانت تعتمد على الخدمات الاجتماعية القليلة التي تقدمها الدولة، كان من الممكن تحويلها إلى قوة عاملة مطيعة، وهكذا استخدم الصناعيون الرواد ما أطلق عليه ماركس "**زيادة السكان النسبية**"، ولكن لم يكن بمقدور هذه القوة العاملة التي تفتقر إلى التعليم وإلى إحساسها بالطبقية إذ ما زالت بحاجة الى أن تتعلم التنظيم المنصف للعمال في هذه الرأسمالية الصناعية (Witte & Craeybeckx & Meynen, 1997, P.52 ; Craeybeckx, 1987, P.350).

كان زعيم المقاومة الأول جاكوب كاتس خلال المدة (١٨٣٤ – ١٨٤٠)، الذي نجحت اجتماعاته في البداية في بروكسل فقط، ثم في المدن البلجيكية الأخرى ابتداءً من منتصف عام ١٨٣٧، فعندما عقد اجتماعاً في مدينة غنت – مركز صناعة النسيج – الذي كان في أزمة صناعية عام ١٨٣٩، تأثر عمال المصنع به كثيراً، وتحول الاجتماع في الوقت نفسه الى انتفاضة (Witte & Craeybeckx & Meynen, 1997, P.52 ; Craeybeckx, La 1987, P.350).

كان لابد من استدعاء الجيش لقمع المظاهرات، التي ساهمت فيها الحركة الديمقراطية برمتها، وحينما سجن كاتس وغيره من الزعماء تولى أعضاء آخرون زمام الأمور وأجروا تجارب على أفكار جديدة، وفي مطلع عام ١٨٤٣ أقيمت الجمعيات الشعبية في البدء في بروكسل ثم في المدن البلجيكية الأخرى، وكانت لهذه الجمعيات أفكار متطرفة جداً، إذ كان كاتس يرشد الطبقة العمالية بتوخي الحذر، وأن يتخلوا عن استخدام العنف، وكانت القيادة الجديدة جاهزة لاتخاذ التدابير الأكثر قوة (Gubin and Nandrin, 2005, P.256).

وفي نيسان ١٨٤٦ جرى التعبير عن هذا التوجه في أبرز صوره، ولاسيما عندما دفعت الأزمة الاقتصادية في الفلاندرز الجمعيات الشعبية إلى الدعوة إلى تنظيم مسيرة جماهيرية في بروكسل، أطلق عليها "**مسيرة الجوع في بروكسل**"، وكانت تهدف إلى الضغط على الحكومة لكي تتخذ إجراءات مناسبة، لكنها مُنيت بفشل كبير، وذلك بسبب الإعلان عن المسيرة قبل ثلاث أو أربعة أيام من موعد انطلاقها، مما أتاح للشرطة وقت كافٍ لاتخاذ تدابير احترازية ضد هذا

الاحتجاج، وعلى الرغم من أنَّ تلك المدة شهدت مساعٍ لتنظيم المقاومة العمالية، فمن الواضح أنَّ هذه المقاومة كانت بعيدة كل البعد عن الاتساع بما يكفي لاستفزاز السلطات القائمة (Gubin and Nandrin, 2005, P.257).

كان تأثير بوناروتي على الاشتراكية المبكرة في بلجيكا، وقد أدى هذا إلى رؤية مشوهة إلى حد ما لحركة الطبقة العاملة قبل ثورة عام ١٨٤٨، وفي أعقاب الثورة البلجيكية تم بنجاح تهميش الديمقراطيين الجمهوريين، حتى أن دي بوتر وبارتلز أجبروا مؤقتاً على النفي في فرنسا، ومع ذلك استمرت الأندية الجمهورية في بروكسل وتمكنت من التعبير عن استيائها، وتابعت عن كثب الحركات الديمقراطية في جميع أنحاء أوروبا (Witte & Craeybeckx & Meynen, 1997, P.54 ; Gubin and Nandrin, 2005, P.258)، وقد بقيت مطالبهم بسيطة تتلخص بجمهورية تحقق العدالة الاجتماعية من خلال الاقتراع العام، ولم يعد يُنظر إلى مبدأ الحرية على أنه يضمن المساواة الاجتماعية، لكن هذا لم يستلزم نقداً اجتماعياً أساسياً للأيديولوجية الليبرالية، وقد سمح جاكوب كاتس لجوتران وديمقراطية الجمهوريين بالارتباط بالحركات الشعبية في بروكسل وغنت، وتم تشكيل التحالفات التي من شأنها أن تشكل في نهاية المطاف المشهد الديمقراطي الذي تردد عليه كارل ماركس أثناء إقامته في بروكسل بين عامي (١٨٤٥ – ١٨٤٨) (Witte & Craeybeckx & Meynen, 1968, P.77).

تركز اهتمام الديمقراطيين على المناقشات البرلمانية قبل التصديق الرسمي على معاهدة لندن وما يتعلق بها من فقدان الأراضي البلجيكية، الذي جعلهم أقرب إلى المقاومة الأورارنجية المستمرة للنظام البلجيكي، لكن تأثيرهم اقتصر على بعض الخطب العاطفية والمواقف الوطنية، وفي أربعينيات القرن التاسع عشر كانوا إما يكونوا مع صفوف الليبراليين التقدميين أو يصبحون نواة الاشتراكية المبكرة في بلجيكا (Witte & Craeybeckx & Meynen, 1968, P.78).

مثلت القضايا السياسية التي هيمنت على المناقشات العامة في أربعينيات القرن التاسع عشر المناخ الفكري والثقافي العام لبلجيكا، ومع الاعتراف الرسمي بالدولة البلجيكية أفسح الاتحاد النقابي المجال تدريجياً لتصاعد التوترات بين الليبراليين والكاثوليك، لكن لم يكن الملك ليوبولد الاول ولا الأغلبية الكاثوليكية متحمسين للتخلي عن هذا النظام، ولقد استفادت الكنيسة بالكامل من الحريات المضمونة دستورياً، وفي أقل من عقد استعادت احتكارها الفعلي للتعليم والإحسان، وأبطلت التقدم الكاثوليكي في أعقابه، وحاول جيل جديد من الليبراليين إعطاء الدستور تفسيراً أكثر ليبرالية واستخدمه لمعارضة السياسات الوحدوية ورجال الدين (Witte & Craeybeckx & Meynen, 1968,

P.79 ; Witte, 2009, P.271)، وقد سمحت لهم انتخابات البلدية ببناء عدد كبير من الأتباع، ولاسيما في بروكسل، لأن ما يقارب من نصف الذين يحق لهم التصويت يعيشون فيها، كما أدت المحافل الماسونية دوراً حاسماً في تنظيم هذه الليبرالية السياسية الحزبية الناشئة، لذا قوبلت بالكاثوليكية الشرسة، الذين شكلوا لجنة الانتخابات الليبرالية، وانتشرت في جميع أنحاء البلاد ونظمت السلطات المحلية حركات العرائض الجماهيرية ورافقتها نقاشات صحفية ساخنة، وقد عزز الأورانجيون السابقون صفوف هذه المعارضة الليبرالية المناهضة لرجال الدين، وكذلك الديمقراطيين الذين ناضلوا من أجل حركة إصلاح برلمانية (Witte, 2009, P.271).

ومن أجل تقوية مركزهم في التحالف، حاولوا إشراك بعض الاشتراكيين الأوائل الذين نجحوا جزئياً، لكنه أدى في النهاية إلى سقوطهم، لأن العناصر الأكثر تحفظاً انفصلت وشكلت مجموعتها الخاصة، وظهر إلى الوجود حزب سياسي عرف بالحزب الليبرالي الذي أعلن عن تأسسيه في المؤتمر الليبرالي الأول في بروكسل، وبعد أقل من عام احتفل الليبراليون بأول انتصار لهم عندما أدت أول حكومة ليبرالية بالكامل في تاريخ بلجيكا اليمين الدستوري (Witte, 2009, P.272 ; Craeybeckx, 1987, P.374).

أولاً: الحركة العمالية:-

لقد نتج عن الاستغلال البشع للطبقة العاملة مقاومة من أشكال مختلفة مقارنة بالاشتراكية الأولى، وقد برزت مجموعات جديدة وقادة جُدد وايديولوجيات غير مسبوقة ومنظمات حديثة (Witte & Craeybeckx & Meynen, 1997, P.55).

في تلك المدة شهدت المقاطعات البلجيكية حدوث اضرابات عدة ومن ابرزها الاضراب الذي حدث عام (١٨٤٨) الذي شمل ما يقارب (١,٥٠٠) عامل في مقاطعة والون، الذين واصلوا اضرابهم لمدة أسبوع ونصف، وقد اتخذت الحكومة والقضاء البلجيكيين إجراءات حازمة ضدهم، الأمر الذي أدى إلى إطلاق النار أثناء قمع أعمال الاحتجاج تلك، وفي آخر المطاف أنهى الجوع ما تبقى من تلك المقاومة، وفي البداية لم تكن هناك أي صلة بين مجاميع الاحتجاجات والحرفيين الحضريين من الطبقة العاملة والمفكرين المتطرفين، وعلى الرغم من أن الأحداث الثورية لعام ١٨٤٨ قد دمرت صفوفهم، إلا أن ثلة رائدة ومكابرة من هؤلاء المفكرين قد ادامت زخم المقاومة (Hegel, 1977, P.13).

انضمت في عام ١٨٥٢ إلى هذه المجموعة فرقة فرنسية من المنفيين السياسيين الفارين من حكم الامبراطور نابليون الثالث وفي الوقت ذاته أغرى المثقفون المتطرفون العديد من الطلاب

الجامعيين البلجيكيين الشباب (هم كلاً من: هـ. دوينس، ج. دي غريف، اي. هنز وسي – دي ب. ب. Witte & Craeybeckx & Meynen, 1997, P.57)، لحضور اجتماعاتهم، وكقادة جُدد فازوا باحترام العمال، وبدأوا بنشر الايديولوجية الفوضوية لبرودون "Proudhon" (سياسي فرنسي وفيلسوف تبادلي واشتراكي ولد في ١٥ كانون الأول ١٨٠٩، يعد أول شخص يطلق على نفسه صفة "لا سلطوي" يعد على نطاق واسع أحد أكثر منظري اللاسلطوية تأثيراً، حتى أن برودون يعد أب اللاسلطوية، أصبح عضواً بالبرلمان الفرنسي بعد أحداث عام ١٨٤٨، حينئذ بدأ يطلق على نفسه صفة اتحادي، توفي بفرنسا في كانون الاول ١٨٦٥. – Robert, 1967, PP.409 – 430 ; Monique, 2004, PP. 84 – 97)، لكن تلك الايديولوجية تفتقر إلى المفاهيم الجماعية، لذا كان على الطبقة العاملة أن تُحرر نفسها من الرأسمالية من خلال إقامة تعاونيات المنتجين والمستهلكين ومنظمات الدعم المتبادل، وجرت إدانة الإضرابات عن العمل لزيادة الأجور وعدت عديمة الفائدة لأنها لا تؤدي الى ارتفاع الأسعار (Hegel, 1977, P.17).

إن الحرفيين المناهضين للرأسمالية في بلجيكا الذين سعوا إلى تعبئة الطبقة العاملة وإقامة منظمات عالمية قوية لتعزيز الاشتراكية قد أرادوا التعاون مع المفكرين، وجرب بعضهم تعاونيات الإنتاج خلال الاعوام (١٨٤٩ – ١٨٥٣)، لكن تلك التجارب فشلت لافتقارها لرأس المال، وهذا عزز القناعات بأن النضال الثوري للقوى العاملة كانت أفضل من حيث الاستثمار في الثورة الاجتماعية من إهدارها على إنشاء المنظمات، لكن آخرين فضلوا إقامة منظمات عمالية قوية تعتمد على التعاون المحلي لتحسين ظروف الحياة على الأمد القصير، وقد نالت تلك الاستراتيجية دعماً أكبر من ذاك الذي حظيت به الاستراتيجية الثورية، وقد انضم العمال إلى المنظمات المهيمنة للمطالبة بأجور أفضل ومعاونة بعضهم البعض (Witte & Craeybeckx & Meynen, 1997, P.73).

أقام كل العاملين في مصانع الغزل الميكانيكية والعاملين في مصانع نسيج غنت نقابتهما الخاصة في عام ١٨٥٧، ولم يكونوا أول المنضوين الى النقابة بين عمال المصانع، ولكن تحروا أيضاً على الأحزاب للمطالبة بتحسين ظروف العمل، في حين تحترم جمعيات الحرفيين في العموم الحظر المفروض على الاضرابات، وبدأ الحرفيون والمفكرون واليساريون الواعون سياسياً العمل معاً على نحو مباشر وفي نطاق تنظيمي (Jones, 2010, P.174).

ولم يعد بوسع العديد من العمال أن يعيشوا مع دين يقبل البؤس والفقر، وما زاد الوضع سوءاً وقوف الكنيسة بقوة مع الحكومات البلجيكية المتعاقبة، إذ إن ازدراء الكنيسة للعامل كان واضحاً

في مراسم الدفن الكهنوتية، التي ادت الى استمرار عدم المساواة الاجتماعية في الوفاة، وبالتالي جرت المطالبة بالدفن المدني (Jones, 2010, P.174).

لم يُنظَر إلى الكنيسة والدين بشكل عام على أنهما عقبة في تحرير الطبقات الاجتماعية الدُنيا وحسب، بل عدت أيضاً على أنها أداة رأسمالية لاستغلال الطبقة العمالية الكادحة، وهذا كان كفيل في أن تقوم الحركة العمالية البلجيكية أساساً على المناهضة الشديدة للطائفية والعقلانية (Jones, 2010, P.177).

شهدت بلجيكا ظهور عدد من الجمعيات التي أسسها المفكرون الأحرار ومن أوائل تلك الجمعيات التي عرفت باسم (الانعناق) "L'Affranchissement" في عام ١٨٥٤، و(التضامن) "Solidiarec" في عام ١٨٥٧، وقد قامتا بتثبيت المبادئ، ولا ينبغي التقليل من شأن دورها التنظيمي، كما أنها قامت بتجنيد أفراداً من رابطات الحرفيين والطبقة المتوسطة الدُنيا التي كانت تعيش خلال تلك المدة على التكافل الاجتماعي مع الأولى، وفي بروكسل تأسست (جمعية المناقشة السياسية) "Lepeuple" في عام ١٨٦١، و(رابطة الديمقراطية العسكرية) وهي في الأساس لتحرير المتضامنين وقد أُسست في عام ١٨٦١، وأصبحت حجر الأساس في الفرع البلجيكي الأول في المنظمة الدولية الأولى (Jones, 2010, P.179).

استهلت الرابطة العمالية الدولية الاولى عهداً جديداً في الحركة العمالية البلجيكية بفضل نفوذها (التكريتي، ٢٠١٣، ص٢٦١)، وكان تأسيس هذه المنظمة الدولية الأولى في بلجيكا مهماً لعدة أسباب، منها أنها عززت الهيكل التنظيمي الداخلي لمنظمة عمل دائمة، كما حفزت على التعاون بين مجاميع الدراسة الفكرية ومنظمات العمل المهني وأصحاب المهن الحُرة، وقد ربطت هذه المقاومة المنظمة لأول مرة بالمقاومة غير المنسقة في المراكز الصناعية، إذ سرعان ما أدرك الزعماء المثقفون أن أعظم الامكانات الثورية يمكن العثور عليها في صفوف عمال المناجم والمصانع وليس بين المجموعات المتناقضة من الحرفيين في المناطق الحضرية، ونظم هؤلاء القادة اجتماعات وجمعوا أموالاً لدعم الاضرابات وعمل محاموهم مجاناً حينما جرى إحضار قادة الإضراب إلى المحاكم البلجيكية (Witte & Craeybeckx & Meynen, 1997, P.74).

ساهمت الحملات الدعائية ودعم الثورة الاجتماعية عن تنظيم الحركة العمالية، وسعى الأعضاء البلجيكيون في الرابطة العمالية في لندن إلى التوسع خارج نطاق بروكسل وإنشاء شبكة إقليمية يشرف عليها هيكل وطني مركزي، وبعد مدة من ذلك كان لدى المنظمة الدولية الأولى ما يقارب من (٦٠) ألف عضواً في بلجيكا، وكانت لديها اقسام اقليمية في أهم المراكز الصناعية

البلجيكية، وشكل الانضمام إلى اتحادات العمال المحترفين القائمة ورابطات الرعاية الصحية وتعاونيات المستهلكين والعاملين في المجال الحر جزءاً من هذا التوسع، وفي غنت انضم كل من الاتحاد النسائي والاتحاد العمالي التقدمي "Vooruit" ووضعوا الأساس للتقاليد الاشتراكية الديناميكية في المدينة (Wils, 2005, P.148).

كان إن. إي. مويسون "N. E. Moyson" الشخصية الرئيسة في النشاط العمالي في انتويرب، إذ انضم إلى اتحاد الشعب "Volksverbond" الذي أسسه اف. كونين من صفوف الطبقة العمالية الحرفية، وانضم إلى المنظمة الدولية "The Wlksverbond"، التي قامت بتنسيق أنشطة أخرى قائمة، وقد وجدت المنظمة الدولية دعماً قوياً في مقاطعة ليبج بين عمال المنسوجات في فيرفيرز، وفي الحزام الصناعي في جنوب بلجيكا في نطاق شارلروي، وفي المركز ومناطق بوريناج (Witte & Craeybeckx & Meynen, 1997, P.77).

قامت الرابطة العمالية بجهود كبيرة في تطوير الهيكل التنظيمي للحركة العمالية البلجيكية، وغرست أيضاً الوعي الطبقي، وساعدت في وضع استراتيجية الاشتراكية وترويجها، وقد قام بعض البلجيكيين مثل ابراود هونسيسين "Proud Honists" بدعم كارل ماركس والدفاع عن النظريات الجماعية، وقد طالب سيزار دي بايبي المفكر المثالي في الاشتراكية البلجيكية جعل الأراضي الزراعية والمناجم والموانئ وشبكة السكك الحديدية مشاعة، ومع ذلك كان البرودونيون لا يزالون أغلبية وكانت الايديولوجية الفوضوية كما نادى ميخائيل باكونين"Mikhail Bakunin" (ثوري لا سلطوي روسي، ولد في ٣٠ أيار ١٨١٤ في روسيا، يعد مؤسس للاسلطوية الجمعوية، ارتاد مدرسة في موسكو لدراسة الفلسفة، وبدأ يرتاد حلقات راديكالية فتأثر كثيرا بألكسندر هيرزن، غادر روسيا في عام ١٨٤٢ متجها إلى دريسدن وفيما بعد باريس، إذ التقى جورج ساند، وكارل ماركس، توفي في الاول من تموز ١٨٧٦. Scanlan, 1994, P.3) هي السائدة، كما نشرت الفوضوية نظام الخلايا الحزبية التعاونية الأساسية المستقلة، ولكن على خلاف الماركسية لم تدعو إلى قيادة مركزية، إذ أراد كارل ماركس في البداية القيام بمعركة سياسية للحصول على السلطة وإقامة مجتمع اشتراكي إذ وسائل الإنتاج ستكون ملكية مشتركة، وقد اضمحل نشاط الفرع البلجيكي التابع للرابطة العمالية **الاممية الأولى**، ولم يدفع معظم الأعضاء أتعابهم مما حول المنظمة الدولية متفرج عاجز أثناء الاضطرابات وقد قوضت الأزمات على نحو متكرر المنظمات التي قامت على أسس حادة (Wils, 2005, P.151).

وفي بلجيكا كان الوضع مختلف إذ تعد ثاني دولة بعد بريطانيا من ناحية الانتاج وهي صاحبة تجربة في الحركات والجمعيات وتتواجد فيها الكثير، إلا أن نشأة الرابطة فيها بدأت في (١٧ تموز ١٨٦٥)، لكن ما يؤخذ عليها هناك هو انطوائها على نفسها فقد أهتمت بالقضايا الداخلية لبلجيكا أكثر من الخارجية، وهذا ما انعكس سلباً على مسيرتها، ومن الجدير بالذكر قادت الرابطة في بلجيكا حملات عديدة منها الاضراب ضد أرباب العمل والحكومة فقد وصفت أضرابات عام ١٨٦٦ بالدامية (التكريتي، ٢٠١٣، ص٢٤٧).

لم يكن لحركة العمال أي تقاليد مُتبعة في المقاومة الطويلة الأجل، وأن أساليبهم وتنظيمهم واضراباتهم كانت تحدث أزمات غير فعالة وتسببت في خيبة أمل أتباعهم وغياب الثقة فيما بينهم، وبذلك انهار الهيكل المركزي وانقسمت الحركة إلى عدد من الخلايا الحزبية المحلية، وقامت منظمات المفكرين الأحرار بدور فعال الى حدٍ ما في الابقاء على عدد قليل من الخلايا على قيد الحياة، وخلال تلك الظروف الصعبة التي عاشتها منظمات العمل في بلجيكا، وعادت الديمقراطية الاجتماعية إلى المربع الأول في بعض المدن البلجيكية، وحاول بعض الأطراف استثمار الوضع وبدأت في سياسة ملئ الفراغ وقد أحرزت حركة الاصلاح تقدماً سريعاً ولاسيما في مقاطعة الفلاندرز ومقاطعة برابانت، وبدأت تتعاون مع الجناح التقدمي للحزب الليبرالي (Witte & Craeybeckx & Meynen, 1997, P.78).

الخاتمة:

لم تظهر في بلجيكا مقاومة جماعية منظمة للطبقة الكادحة المتمثلة بالاشـــتراكية خلال السنوات الأولى من بروز بلجيكا (١٨٣٠ – ١٨٤٧)، وقد تشكلت من أعضاء نشطين ومعروفين لدى المجتمع البلجيكي لاســـيما وأن غالبيتهم كانوا من الطبقة الفقيرة والمتوســـطة وقريبين من الشـعب ويدركون جيداً ما يعانيه الفرد البلجيكي من صـعاب في الحياة، لذلك اعترضـت الحركة الاشـــتراكية البلجيكية على المبادئ المركزية للملك، وأرادوا تنفيذ اللامركزية البعيدة المدى ومنح المزيد من الاستقلال الذاتي للمقاطعات والبلديات، حتى أن بعض الاشتراكين أرادوا تحويل بلجيكا إلى جمهورية لمواجهة النهج الاستبدادي للملكية.

قائمة المصـــادر: **References:**

أولاً: المصادر الأجنبية:

Belfort Bax, Ernest, (1901). The Lastepisode the French Revolution being a history of Gracchus Babeuf and the conspiracy of the equals, London.

Buonarroti, Philippe, (1869). Gracchus Babeuf, Laconjuration des Egaux preface notes pxrx, Paris.

Craeybeckx, J., (1987). La Belgique Politique de 1830 à nos Jours. Les tensions d'une démocratie Bourgeoise, Bruxelles.

Descamps, Edouard Eugène François, (1902). La Neutralité de la Belgique au Point de vue Historique, Diplomatique, Juridique et Politique: étude sur la Constitution des Etats Pacifiques à Titre Permanent, Bruxelles.

Elizabeth, Eisenstein, (1959). Filippo Michele Buonarroti, Harvard University Press, Cambridge.

Federici, Libero, (2007). L'egualitarismo di Filippo Buonarroti, Padova.

Gubin, E. and Nandrin, J. P., (2005). "Het Liberale en Burgerlijke België: 1846 – 1878", in V. Dujardin et al (eds.), Nieuwe Geschiedenis Van België, Lannoo.

Hegel, G. W. F., (1977). Phenomenology of Spirit, Oxford.

Johnathan, Beecher, (1986). Charles Fourier The Visionary and His World, University of California Press, U.S.A.

Jones, G. Stedman, (2010). Religion and the Political Imagination, Cambridge.

Meric, Victor, (1907). Les Homes de la Revolution, Gracchus Babeuf, Libralire du Progress, Paris.

Monique, Canto – Sperber, (2004). Proudhon the First Liberal Socialist In Parrine,

Stanford University.

Père, Anselme, (1967). Histoire de la Maison Royale de France, Tome 4., Paris.

Robert, Hoffman, (1967). Marx and Proudhon A Reappraisal of Their Relationship The Historian, Paris.

Scanlan, Edie James M., (1994). Mary Barbara Russian Philosophy, The Nihilists, The Populists, Critics of Religion and Culture, University of Tennessee Press.

Suratteau, Jean – René, (1989). Dictionnaire Historique de la Révolution Française, Paris.

Wils, K., (2005). De Omweg van de Wetenschap: Het Positivisme en de Belgische en Nederlandse Intellectuele Cultuur, 1845 – 1914, Amsterdam.

Witte, E., (2009). Voor Vrede, Democratie, Wereldburgerschap en Europa. Belgische Historici en de Naoorlogse Politiek – Ideologische Projecte, Pelckmans.

Witte, Els & Craeybeckx, Jan & Meynen, Alain, (1968). Political History Accommodation Pluralism and Democracy in the Netherlands, California.

Witte, Els & Craeybeckx, Jan & Meynen, Alain, (1997). Political History of Belgium From 1830 Onwards, Politieke Geschiedenis van België, Standaard.

Witte, Els & Others, (2009). Political History of Belgium From 1830 Onwards, Hulshout.

Witte, Els, (2016). Le Royaume Perdu – Les Orangistes Belges Contre la Révolution (1828 – 1850), Bruxelles.

ثانياً: البحوث العربية:

Al-Takriti, Harith Abdul Rahman, (2013). "The First International Workers' Association (1864 – 1876) (A Study of the Causes of its Emergence and Collapse)". Tikrit University Journal, 12 (20).